الجهود الأدونيسية في التأريخ للشعرية العربية
قراءة في كتاب الشعرية العربية لأدونيس

شنتوف بهية، جامعة طاهري محمد بشار

الملخص :

أدونيس ناقد من أهم النقاد العرب الذين ساهموا في إثراء الساحة الأدبية والنقدية على حد سواء، و مؤلفه الموسوم ب **"الشعرية العربية"** هو في الأصل مجموعة محاضرات جامعية ألقيت في الكوليج دو فرانس بباريس سنة 1984م.

عالج هذا الأخير أربع قضايا أدبية ونقدية في أربعة فصول هي عبارة عن دراسة تاريخية للشعرية العربية منذ نشأتها إلى حداثتها. أول الفصول" الشعرية والشفوية الجاهلية" تناول المرحلة الأولى للشعر العربي وهي الجاهلية، فالشعر العربي في هذه الفترة نشأ شفويا وسماعيا لا تدوينا أو كتابة، وتناول في الفصل الثاني "الشعرية والفضاء القرآني" فالقرآن الكريمنقل الشعرية العربية من مرحلة الشفوية إلى مرحلة الكتابة والتأليفوالتدوين لما فيه من بلاغة وإعجاز وبيان. و في الفصل الثالث " الشعرية والفكر"يتعرض أدونيس إلى النقد العربي القديم المتمثل في الشعر الجاهلي الذي تمسك بالنموذج أو الطريقة العربية القديمة رافضا أي معرفة جديدة مهما اختلفت مصادرها، وإلى النظام المعرفي القائم على الدين الذي فصل فصلا قطعيا الشعرية عن الفكر.

و ليوضح العلاقة الترابطية بين هذين القطبين أورد دراسة مستفيضة لثلاثة نماذج شعرية ودعم أراءه بحديثه عن النص الصوفي وخصائصه التي تقدم لنا فضاء ثرا لهاته العلاقة .

وفي الفصل الأخير الموسوم بـ " الشعرية والحداثة "يؤرخ لها متتبعا مراحل تراجعها وتطورها، وتضارب وجهات النظر حولها واختلافها إضافة الى رأيه فيها ودعوته الملحة إلى ضرورة كتابة تاريخ خاص بها، وبهذا يكون أدونيس قد ساهم بقسط وافر بالبحث والدراسة

المنارة للاستشارات

في إعادة النظر الى موضوع الشعرية العربية من جهة والى التراث العربي القديم والثقافة العربية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الشعرية – الحداثة – الشفوية – النقد – المعنى – السماع – المتلقي – التعبير – التواصل- اللغة .

المقدمة:

لعل أول ما يلفت انتباهنا هو المقدمة التي وضعها الناقد الفرنسي " إيف بونفو "و التي تحرك وتوقظ استعدادات القارئ للإقبال على تصفح صفحات هذا المؤلف، مقدمة أراد من خلالها صاحبها إبراز مكانة الشاعر والناقدأدونيس* والتنويه بجهوده في إزالة النقاب عن وجه العربية التي لطالما كان يخفي وراءه حسنا وجمالا .

و بتصفحنا لهذا المَؤلف نلفيه يتضمن أربعة عناصر تناولها أدونيس بالدراسة والتحليل العميقين وهي النقاط التي سأركز عليها في هاته المقاربة، إذ سأتوقف عند خصائص الشعرية الشفوية في الشعر الجاهلي والمفاهيم التي تبلورت حولها بمنظور النقد العربي ومن منظور أدونيس في القسم الأول، ثم نعرض في القسم الثاني تطور هذه المفاهيم أو المعايير التي وجب تغيرها بتغير النص محل الدراسة والذي تجاوز المعايير السابقة وكشف عن قصورها ألا وهو النص القرآني، وفي القسم الثالث يتحدث أدونيس عن الشعرو الفكر في جدلية حول نفي وجود علاقة ترابطية بينهما وإثباتها، لنصل في القسم الأخير إلى أبعاد الحداثة الشعرية .

الشعرية والشفوية الجاهلية

يتحدث أدونيس في القسم الأول من كتابه عن خصائص الشعرية الشفوية الجاهلية من خلال علاقة الذات بالصوت ويمكن توضيح هذه العلاقة بالشكل التالي :

الشاعر	طريقة التعبير	السامع
(الذات)	(الصوت / النشيد)	(المتلقي)

(طاقة متجددة الإشارات)

المنارة للاستشارات

الشاعر لا يستغرب تشاكل المعاني التي تحدثت عنها كتب النقد وما أدرج منها في باب السرقات لأن ما يتحدث عنه الشعراء واقع مشترك يعيشه الإنسان الجاهلي يتمحور حول عاداته، تقاليده، حروبه وانتصاراته وهزائمه فـ " فرادة الشاعر لم تكن فيما يفصح عنه، بل في طريقة إفصاحه . "(1)

و الإبداع الشعري منوط بطريقة تعبير الشاعر التي تبنى بشكل أساسي على الإنشاد أو النشيد وفي هذا المجال يشير أدونيس إلى الصلة أو الرابط بين الشعر والغناء في الجاهلية، صلة كان يدركها الشاعر الجاهلي وجاء تفصيلها عند جملة من النقاد العرب منهم : (المرزباني، ابن رشيق، ابن خلدون، وغيرهم).

فإذا نظرنا من زاوية البات (الشاعر) وما يتعلق به من منظور أدونيس من خلال ما أشار إليه تتحدد لنا جملة من النقاط يمكن إجمالها فيما يلي :

- الشعر من فم قائله أحسن (الجاحظ) .
- النشيد له تقاليد (هيأة الشاعر، حركاته، لباسه، فعل الحركة، فعل الجسد، . . .)، هذا لأن الشعرية "تتجلى في كون الكلمات وتركيبها، ودلالتها، وشكلها الخارجي والداخلي، ليست مجرد أمارات مختلفة عن الواقع بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة"(2)

يدخل في هذا طريقة التعبير التي تحدث عنها أدونيس ورأى أنها عماد العملية التواصلية بين الشاعر الجاهلي وقبيلته (متلقيه). فالنشيد كما يذكر" جسد مفاصله الوزن والإيقاع والنغم وعلى إحكامه الغني تتوقف استجابة السمع. "(3)

و هو بهذا يشير إلى الطرف الثاني في العملية التواصلية (السامع أو المتلقي)، ومن بعض خصائص النشيد يذكر أدونيس خاصيتين هامتين تتعلق الأولى بما عرف بوحدة البيت

المنارة للاستشارات

وقد ربطها أدونيس بضرورات تتصل بالسماع والتأثير لا إلى فكرة العناية بالجزء لا بالكل التي قال بها النقاد

أما الخاصية الثانية فتتعلق بالقافية كونها خاصية إنشادية موسيقية محضة بعيدة كل البعد عن القالب الشكلي الذي يقحمها فيه بعض الدارسين .

بعد هذا ينتقل أدونيس إلى تبيان دور هاته الخصائص في بلورة المفاهيم النقدية الشعرية العربية من خلال ثلاثة نقاط هي :

- ❖ قضية الإعراب.
- ❖ قضية الوزن.
- ❖ قضية السماع.

في القضية الأولى يتحدث عن أسباب ودوافع العرب وكذا السبيل الذي انتهجته لتأسيس علم النحو العربي والجهود التي توالت بعد ذلك لعل أهمها إزالة الإعجام الذي مكّن من تمييز الحروف المتشابهة في الصورة . "وفي هذا المناخ وضعت قواعد اللغة خوفا من أن يتسرب اللحن أو التحريف إلى القرآن والحديث، ووضعت أوزان الشعر لحفظ إيقاعاته و تمييزها عن غيرها من الأوزان والإيقاعات اليونانية والسريانية و الفارسية والهندية ووضعت قواعد الصناعة الشعرية،والتذوق والتواصل الشعريين "(4)

و في القضية الثانية يبين العلاقة بين الشعر والوزن، فيرى أن اقتران الشعر بالموسيقى اقتران طبيعي وهذا المجال بحث فيه وأسس له " الخليل بن أحمد الفراهيدي " وبحث فيه "الفارابي " وفي هذا يقول أدونيس :" البحر حالة وزنية خاصة والوزن قاعدة . "(5)

أما في حديثه عن السماع وهو القضية الثالثة يشير إلى علاقة الشفوية الشعرية بالسماع، في هذا الجانب يركز على مقصدية الشاعر وهو يقول الشعر فإنما يقول الشعر لطرف يقصد التأثير فيه، ولما كان الواقع بكل أبعاده الاجتماعية والنفسية مشتركا بين الشاعر

المنارة للاستشارات

ومستمعيه كان اهتمام الشاعر بالقناة أو الطريقة أو السبيل الذي يحقق له التأثير في المتلقي بشكل خاص وهو ما اصطلح عليه أدونيس بـ" طريقة الإثبات " نقلا عن الجرجاني (دلائل الإعجاز)، يقول : " هكذا نظر إلى الشعر نقديا عبر معيار التأثير المطرب وبنيت الشعرية على جمالية السماع والإطراب . "(6)

و قد بيَّن أدونيس معايير لهاته الجمالية على مستويين :

1- مستوى المعنى : " تجنب الإشارات البعيدة والحكايات الغلقة والإيماء المشكل وأن يعتمد الشاعر ما خالف ذلك – وأن يستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها . "(7)

أي انتهاج التلقائية والعفوية في قول الشعر وفصله عن الفكر .

2- مستوى الشكل : في هذا الجانب يشير إلى اختيار الشاعر للألفاظ والكلمات من جهة ومن جهة أخرى يذكر أهمية اختياره للبحر المناسب للغرض المناسب، فالأقاويل الشعرية "تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه، أو التي هي أعوان العمدة. وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له" (8)

من هنا بدأ التقعيد والمنهجة اللذين نظرا إلىالوزن كما يذكر الناقد " بوصفه جوهر كل قول شعري لا بصفته تقعيدا لحالة إنشادية غنائية في نوع معين من القول . "(9)

و بهذا أصبحت المعايير التي تحكم النص الشفوي هي ذاتها التي تحكم النص المكتوب وهو الأمر الذي يرفضه أدونيس كون هذا التقنين يتناقض وطبيعة اللغة الشعرية واللغة بصفة عامة من صفاتها التغير والتجدد والتطور.

المنارة للاستشارات

و يختم الناقد فصله هذا بجملة من التساؤلات حول الخطاب النقدي التقعيدي ويدعو إلى البحث عن هفواته أو ثغراته .

الشعرية والفضاء القرآني

أحاط النقاد الشعر بهالة القدسية وربطوا إنشاد الشعر وسماعه بمكانة الشاعر وإمكاناته بل وجعلوا ذلك عنوانا للهوية العربية وعدوا الحياد عن المعايير التي وضعوها بناء على ذلك انحرافا وإفسادا للشعر ذاته .

ثم جاء النص القرآني ووجد النقاد معاييرهم عاجزة أمام إعجازه فعكفواعلى دراسته من خلال مقارنته بالنموذج الشعري وانطلاقا من ذلك اتضحت لهم أمور كانوا في غفلة عنها، من ذلك ما ألفه " الجرجاني" من مصنفات تعد الأرضية التي مهدت وأسست لشعرية الكتابة – كما أسست جهود الخليل الشعرية الشفوية – وأصبح الاهتمام باللفظ في علاقته بما يجاوره في خلق المعنى القريب إلى النفس، هو المعيار الذي نادى به النقاد على رأسهم " الجرجاني "، فأصبح الاهتمام والعناية منصبين على المجاز والصنعة.

و يجمل أدونيس القراءات التي تناولت النص القرآني في قراءتين : " تمت الأولى في ضوء البيانية الشفوية الجاهلية . "(10) تمسكا واستمرارا للمبدأ السائد والقديم، أما القراءة الثانية فقد أحدثت فارقا كما يرى أدونيس، يقول أنها " القراءة التي أسست لما يمكن أن نسميه بشعرية الكتابة . "(11)

و هاته القراءة حسب منظور الناقد هي التي مهدت للنقلة من الشعرية الشفوية الجاهلية إلى شعرية الكتابة فالنص القرآني هو نقطة تحول في الشعرية العربية .

و توضيحا للفكرة السابقة يعرض أدونيس ما قام به " الصولي " وصاغه الجرجاني كمبادئ لشعرية الكتابة، فيما يخص " الصولي " يتحدث كما يشير الكاتب عن " الشعرية

المنارة للاستشارات

المحدثة " والتي تقوم على التجديد في المعاني وغموضها ودقتها وهو المنحى الذي انتحاه " أبو تمام ".

أما " الجرجاني " فمؤلفاته كما ذكرنا سابقا هي الأساس الذي تم من خلاله التنظير لشعرية الكتابة ولعل كتابه " النظم " كما يشير أدونيس أهمها في هذا الصدد، وانطلاقا من هذا أسست " معايير أخرى لشعرية الكتابة يستلهمها من الأفق الكتابي الذي فتحه النص القرآني . "(12)

و يوجز أدونيس المبادئ الجمالية والنقدية المتمخضة عن الدراسات القرآنية والتي كانت كما أشرت سالفا ممهدا بل مؤسسا للانتقال من الشعرية الشفوية إلى شعرية الكتابة في النقاط التالية :

1- مبدأ الكتابة دون احتذاء نموذج (أبو تمام / بشار بن برد).

2- الثقافة العميقة الواسعة للشاعر والناقد على حد السواء .

3- إلغاء معيار القدم والتأخر والدعوة إلى النظر إلى النص الشعري القديم والنص الشعري المحدث في معزل عن هذا المعيار .

4- نشوء نظرية جمالية ترى في الوضوح نقيضا للشعرية والغموض هوما يحقق الجمالية الشعرية

5- إعطاء الأولية لحركية الإبداع والتجربة بحيث تصبح الشعرية كما يعبر " الجرجاني " :

" كيمياء تعطي الشبهة سلطان الحجة، وترد الحجة إلى صيغة الشبهة، وصنع من المادة الخسيسة بدعا تغلو في القيمة وتعلو. . . " (13)

الشعرية والفكر

لطالما تردد على ألسنة النقاد والأدباء والدارسين أن الشعر ديوان العرب والسؤال المطروح هنا : إن كان للشعر هذا الزخم الحضاري الكبير الذي ننسبه إليه، فكيف ننكر على من أبدعه عمق الفكر ونصرف جل اهتمامنا إلى روعة التصوير وجمال الإيقاع ؟

المنارة للاستشارات

ذلك هوالسؤال الذي ناقشه أدونيس كنقطة أولى في معرض حديثه عن الشعرية والفكر فالحقائق والمعارف إلى جانب الألحان - التي رأينا فيما سبق أنها كانت تشكل عماد الشعرية الجاهلية – وأمور أخرى تشكل هذا الإرث العربي الموسوم بـ " الديوان العربي ".

و اتصال الشعر العربي بالفكر في وقت لاحق عُدَّ عيبا، بل انحرافا عن النموذج أو الطريقة العربية – كما يذكر أدونيس – ذلك أن العرب كانت ترى أن أي اتصال بالثقافة الغربية في آدابها خطر تجب محاربته، ولعلَّ عزوفهم عن ترجمة الآداب الغربية أكبر دليل على ذلك، وعندما تمنطق بعض العرب وصاغوا الثقافة الجديدة ولَونوها بأنفاس أحاسيسهم شعرا كان نصيبهم من الاستهجان كبيرا وصل إلى حدِّ التكفير .

فصل الفكر عن الشعر من المنظور الديني يسوغ له أدونيس بالعودة إلى جذر كلمة " شعر " التي تعني : حس، وبما أن الحقائق تدرك ولا تحس فإن الشعر من هذا المنظور يكون قاصرا وعاجزا بخلاف الدين الذي يقتضي الإدراك بأن الله موجود .

لكن من المنظور النقدي، يرى أن حصر الشعر في مقولة " الكلام الموزون المقفى " إجحافالأمر الذي يستدعي إعادة النظر وتوسيعه في دراساتنا لموروثنا الثقافي .

و ليدحض الآراء السابقة ويصحح المفاهيم يقوم أدونيس بتقديم ثلاثة نماذج شعرية ليستدل بها على العلاقة الترابطية بين الشعر والفكر هي : النص النوَّاسي*، النص النَّفري* والنص المعرِّي*.

1- النص النواسي : يشير إلى الفكرة التي تشكل قوام هذا النص وهي كون أبو نواس " يرفض قيم الحياة العربية البدوية ويرفض التعليمة الدينية . "(14)

يرى أدونيس أن في هذا النص ما يدعو إلى تلمس طريق أو نظام آخر خاص للمعرفة من خلال رفض ما هو مألوف .

المنارة للاستشارات

2- النص النفري : يرى في هذا النموذج نظرة معرفية تتنافى والنظرة التقليدية الدينية، وذلك أن النفري يتوسل باللغة لخلق معنى لا يدرك إلا من خلال التأويل، وهو بهذا كما يرى أدونيس يحرر الفكر واللغة " من الوظيفية والعقلانية ويرد لهما مهمتهما الجوهرية، الغوص في أعماق الذات والوجود والكشف عن أبعادهما . "(15)

بهذا يكون النص النفري رحلة بحث عن متوارٍ له سمة الزئبقية بوسيلة (اللغة) هي نفسها تُشكل مدار بحث .

3- النص المعري :يرى الناقد بأنه " لقاء بين لفظ نملكه ومعنى نبحث عنه، لكنه بحث يؤدي دائما إلى الحيرة والشك"(16)

فكل ما هو يقيني يقع خارج المعرفة المعرية، بل لا وجود له.

و أدونيس يصف النص الشعري عند هؤلاء الشعراء بأنه نص فكري تخييلي كما يصفه بأنه " مقاربة معرفية للأشياء والإنسان تمتزج بالمؤثرات النفسية من جهة وتبتعد من جهة ثانية عن العقل والمنطق . "(17)

فالمعرفة التي ينتجها ويقدمها الشعر استنادا للنماذج الثلاثة معرفة حدسيةفي جانب من جوانبها، ذات طابع تأملي، كياني ونفسيي وهي أيضا معرفة تتوسل بالرمز والصورة .

و انطلاقا من هذا النص يحدد أدونيس فكرية الشعر في مستويات أربعة :

1- إن الصورة الشعرية في هذا النص تكشف عن المعتم الغامض في داخل الإنسان والبعد التأويلي الذي يقتضيه.

2- إن هذه الصورة كشف عن الأبعاد الأساسية للعالم الخارجي .

3- إن هذه الكشوفات والتساؤلات حول حقائق أخرى تنقل ضمن سياق جمالي يتحول ويندرج في سياق الحياة والفكر .

المنارة للاستشارات

4- إن هذه الكشوفات تقدم إمكانيات للفكر والعمل في آن، إذ قد تكون أساسا لبناء تصورات جديدة.

ينتقل أدونيس للحديث عن اللغة بصفتها الخاصية الجوهرية لهذا النص، "و لأن الشاعر يلعب بأدوات اللغة والكلام ،ويخضع لقواعد الجنس الأدبي ويتوفر على ضروب الأغراض إلخ..ولا تلعب كل هذه العناصر دورا متماثلا أو ثابتا،إنها وهي مرتبطة ببعضها بعضا تلعب كل واحدة منها وظيفة خاصة ومتغيرة فهي تنتظم في مجموع يحدّ حيز القصيدة ويولد دلالتها"(18)، والحديث عن اللغة الشعرية هو حديث عن المجاز، وبما أن المجاز كما عرَّفه النقاد خروج عن استعمال اللغة وفقا لحقيقتها فإنه بذلك من المنظورين الديني والفلسفي اللذين يريان أن " المعنى يجب أن يعبر عنه باللفظ الدال علىالحقيقة . "(19) يكون (المجاز) تحريفا للحقائق والمعارف واللغة ذاتها، والمجاز في ظل أو أفق هاته المعرفة مغلق على حدٍّ تعبير أدونيس، لكن انفتاحه يتأتى في أفق المعرفة الشعرية والذي يتولد من معنى مستعصٍ، كامنٍ ومتوارٍ تتلذذ النفس باستشفافه وذاك هو حال النص الصوفي الذي هو خارج أي نمطية أو تجسيد لمثالٍ أو نموذجٍ سابقٍ أو موازٍ، فالصورة الشعرية فيه " عصية على الإحاطة بها عقليا وواقعيا . "(20)

من هنا علينا أن ننطلق أو نعيد صقل المرايا التي من خلالها نتلمس الملامح الجمالية والمعرفية لذواتنا وإبداعاتنا .

الشعرية والحداثة

في نظرته التاريخية التطورية للمراحل التي مر بها الشعر العربي منذ نشأته نصل إلى آخر محطة من محطاته ألا وهي مرحلة " الحداثة ". ففي تأصيله لشعرية الحداثة العربية يرى أدونيس أن الحداثة العربية ظهرت في القرن الثامن الميلاديوربط مصطلح "الحداثة"

المنارة للاستشارات

بالمصطلح الديني "الإحداث"، فالحداثة عنده عزوف وخروج عن النظام القديم سواء علىالصعيد السياسي، الديني أو الفكري من جهة وعلى ثقافة الخلافة ونفي القديم من جهة أخرى.

و في موضوعه الشعرية والحداثة دائما يرى أن مسألة الحداثة الشعرية في العالم العربي تشير إلى أزمة ثقافية عامة هي أزمة "هوية " تظهر من خلال الصراع الداخلي من جهة و الصراع الخارجي من جهة أخرى، وهذا ما يؤكد تأرجحها بين الضعف تارة والقوة تارة أخرى.

ينظر أدونيس إلى الحداثة على أنها ثورة ورفض وتحريك من خلال قوله :" ولعل فيه بالتالي ما يوضح لنا كيف أن الحداثة بقيت في الغالب قوة رفض وتساؤل وتحريك. . . (21)"

و في نظرته التأصيليةالتأسيسية لنشأة الشعرية العربية عامة والشعرية والحداثة خاصة يرى أن إشكالية الحداثة تراجعت مع سقوط بغداد سنة 1658ماندثرت وانقطعت عند اشتداد الحروب الصليبية وسيطرة العثمانيين على الحكم في سائر الأقطار العربية .

إلا أن هذه الإشكالية أعيد النظر فيها من جديد مع عصر النهضة أي منذ بداية القرن التاسع عشر وأواسط القرن العشرين. و نتج عن هذا اتجاهان:

أحدهما " **أصولي** " متشبث بالماضي والقديم، و يربط الحداثة بعلوم اللغة العربية. و اتجاه

آخر **"تجاوزي"** يربط الحداثة بالثقافة الغربية وبآثار العلمانية الأوروبية. "فالشعرية صارت حداً للتوازي القائم بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية، وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى تسمية المعنى بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، لكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس، وعلم الاجتماع إلى غيرها من العلوم،

المنارة للاستشارات

تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعرية إذن مقاربة للأدب مجردة وباطنية في وقت واحد".(22)

فالثقافة الأصولية هي الثقافة السائدة والمهيمنة في المجتمع العربي لأسباب اقتصادية اجتماعية وسياسية داخلية وخارجية على حد تعبيره.

إلا انه يتراجع قائلا :". . . و من هنا كانت الحداثة في المجتمع العربي ولا تزال شيئا مجلوبامن خارج، إنها حداثة تتبنى الشيء المحدث، و لا تتبنى العقل أو المنهج الذي أحدثه (23)"

و هذا ما يوضح أن الحداثة هي نقد للتراث الماضي وبحث عن آثار الحداثة فيه أي إنها موجودة في التراث العربي عند كل من أبي نواس وأبي تمام بالنسبة للشعر وفي التصوف أيضا وفي النقد مع الجرجاني. فالحداثة ليست اقتباسا من الماضي وانعكاسا له وهذا ما يؤكد الاتجاه الأصولي كما أنها ليست انبهارا بالغرب وهذا ما يوضح الاتجاه التجاوزي.

يقول أدونيس: " . . . أحب هنا أن اعترف بأنني كنت بين من أخذوا بثقافة الغرب، غير أنني كنت كذلك بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزا ذلك، و قد تسلحوا بوعي ومفهومات تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة، وأن يحققوا استقلالهم الثقافي الذاتي وفي هذا الإطار أحب أن أعترف أيضا أنني لم أتعرف على الحداثة الشعرية العربية من داخل النظام الثقافي العربي السائد وأجهزته المعرفية، فقراءة بودلير هي التي غيرت معرفتي بأبي نواس وكشفت لي عن شعريته وحداثته. . . "(24)

فاللغة العربية هي الرمز الأول للهوية العربية وهي الكائن نفسه والعلم الذي يدرس هذه اللغة هو علم الكائن. فهي سر الوجود وجوهره وفي ضوئها يتحدد الإعراب وتفهم دلالاته. يستعرض أدونيس إشكالية العلاقة بين اللغة والفكر وأيهما أسبق، فاللغة في نظره

المنارة للاستشارات

تسبق الفكر كمـا أن الحديث عن الحداثة العربية هو حديث عن الفكر العربي نفسه وعن أصوله

و تاريخه أيضا.

يحدد أدونيس خمسةأوهام أو مفاهيم نتجت عن اختلاف وجهـات النظر في موضوع الحداثة وهي كالآتي:

1- الزمنية : يرى أنصار هذا الاتجاه أن الحداثة ترتبط ارتباطا مباشرا بالوضع الراهن أو الحاضر وتعبير عن قضاياه أو بتعبير آخر معايشة الوضع ومعاصرته.

2- **الاختلاف عن القديم :**أي أن التجديد والإبداع والعزوف عن القديم حداثة.

3- **المماثلة :** محاكـاة الغرب وتقليده كونه مصدر الحداثة، فلا حداثة خارج معـايير الشعر الغربي ومقاييسه وقوانينه.

4- **التشكيل النثري :** العزوف عن القصيدة الشعرية العربية القديمة وعن الأوزان والنظـام العروضي الخليلي إلى كتابة أخرى نثرية وهذا أيضا حداثة وهذا ما يوضح الاهتمام بالشكل وإهمال المضمون. وهذا لا يحدد الشعرية في تنظره.

5- **الاستحداث المضموني :** التعبير عن قضـايا العصر ومسـايرة تطوراته وأوضاعه شعرا يعتبر حداثـة.و" المحددات الموضوعية للإبداع تؤثر على توجيهه العام وعلى اختيار وسائله واستعمال أدواته"(25)و يمثل هذا الاتجاه في الشعر العربي المعـاصر كل من أحمد شوقي حـافظ إبراهيم ومعروف الرصافي.

يضع أدونيس ثلاثة أبعاد لشعرية الحداثـة العربية، يتمثل البعد الأول في البعد المديني الحضري بكل مـا يحمله من أفكـار وقيميمثل هذا البعد أبو نواس، والبعد الثاني وهو البعد اللغوي المجازي ويظهر هذا فـي الشعر الجاهلي ويمثله أبو تمـام والبعد الثالث وهو بعد التفاعل والامتزاج بالثقافات الغربية.

المنارة للاستشارات

يدعو أدونيس إلى ضرورة الكتابة والتأريخ للحداثة الشعرية العربية منذ القرن الثامن الميلادي حتى منتصف القرن العشرين حيث يقول :" ومن هنا أخذ يبدو لي أن الحداثة الشعرية تأرخت أي أنها دخلت في التاريخ وصارت جزءا منه، وهذا يعني أن المفهوم الذي أفصح عنها أصبح "قديما" ربما يكون الكتاب الأكثر ضرورة وإلحاحا، اليوم، هو الكتاب الذي يؤرخ للحداثة في الشعر العربي منذ القرن الثاني الهجري(القرن الثامن الميلادي) حتى منتصف القرن العشرين". (26)

كما يميز تاريخيا بين حداثتين إحداهما قديمة وأخرى ثانية جديدة تتمثل في مجلة "شعر".

فالحداثة في هذه الحقبة التاريخية تميزت بالنضج وبلغت أوجها وذروتها وهذا ما يؤكد ذلك: "الحديث الشعري منذ بدايات هذا القرن وانتهاء بمجلة "شعر" إنما هو إنضاج وتوسيع وتعميق بحيث كشفت أبعاد حداثية لم تكن معروفة، أدت إلى أن يعاد النظر في تحديد معنى الشعر بالذات، و تلك هي ذروة الإنجاز الذي حققته التجربة الشعرية في مجلة "شعر"على الصعيد النظري خصوصا. "(27)

ويختتم حديثه عن الحداثة الشعرية العربية وخصوصياتها كونها نزعة من النزعات الإنسانية ورغبة من رغباتها القائمة على تفجير المكبوتات والبوح عن الأسرار والمكنونات وتحريرها.

فشاعر العصر الحديث قد «وجد نفسه ووعى ذاته، واعتز بكرامة عقله، وفكره ولسانه، فلم يساوم عليها في سوق النفعية والنفاق، فبلغ الذاتية الاجتماعية حين نطق بلسان الجماعة، وتمرد نيابة عنها على الطغيان والنفاق لواق المادي والمعنوي، وضرب لنا مثلاً فذاً رائعاً للالتزام في الأدب، ورسالة الأديب الذي لا يفقد وعيه في دوامة الأبصار، ولا يخطئ طريقه في داجي الظلمات، ولا تغفل عينه والناس نيام»(28).

المنارة للاستشارات

التهميش :

* أدونيس، علي أحمد سعيد 1349) هـ -). شاعر وناقد لبناني الأصل سوريالمولد. اسمه الأصلي علي أحمد أسبر.عُرف باسم علي أحمد سعيد وغلبت شهرته بلقبأدونيسالذي أطلقه عليه أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري الاجتماعي .وُلد في قصابين إحدى قرى جبال العلويين بمحافظة اللاذقية. نال البكالوريا عام1965 م. شارك في تأسيس مجلةشعرثم في رئاسة تحريرها واستمر نشاطه فيها منشتاء عام 1957م إلى ربيع عام 1963م. وكان هدف مجلةشعركما حدده منشئوها هوتطوير الحركةالشعريةالعربيةالحديثة ومنحها منبر ً ا حًرا يلتف حوله كل المبدعين العرب. أسس مجلةمواقفعام 1968م، وعمل أستاذ ًا للأدب العربي في كلية التربية بالجامعةاللبنانية بين عامي 1974 و1978م. ثم انتقل إلى كلية الآداب في الجامعة نفسها. نالدرجة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة القديس يوسف ببيروت. وكانت أطروحتهبعنوانالثابت والمتحول: بحث في الاتباع والإبداع عند العرب .نال جائزةالندوة العالمية للشعر في بتسبيرج بالولايات المتحدة الأمريكية. هاجر إلى باريسواستقر فيها بعد نشوب الحرب الأهلية في لبنان وعمل أستاذ ًا جامعي ًا .

(1) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، الطبعة الثانية 1989 م، ص (06).

(2) رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م: 19.

(3) أدونيس، الشعرية العربية، ص (10) .

(4) ينظر: جمال الدين بن الشيخ،الشعرية العربية،تر:مبارك حنون وآخرون،دار توبقال،المغرب،1996 ط1،ص89.

(5) أدونيس، الشعرية العربية ،ص (22).

(6) المرجع نفسه، ص (23) .

(7) المرجع نفسه، ص (23) .

(8) أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م: 346

(9) أدونيس، الشعرية العربية، ص (30) .

(10) المرجع نفسه،ص (41).

(11) المرجع نفسه، ص (42/41) .

(12) المرجع نفسه، ص (52) .

(13) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،تصحيح محمد رشيد رضا، مكتبة محمد علي صبيح، الطبعة 06 سنة1959م، ص 275،276.

*(شعر ابو نواس، شعر محمد بن عبد الجبار بن حسن النفري، شعر ابو العلاء المعري).

النفري : هو محمد بن عبد الجبار بن حسن النفري الملقب بالنفري، ولد ببلدة نفر في العراق وإليها ينسب. كان من كبار الصوفية وتنقل كثيرا بين العراق ومصر، ومن أشهر كتبه كتاب المواقف والمخاطبات .ومن فرط تواضعه لم يكتب ما كان يقول، إنما كان يؤلف كتابه شفهيا لمريديه، ويكتفي بذلك. من أشهر ما ذكر عنه أنَّه قال "كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة".

النواسي : أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي .يكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي. وعرف أبو نواس بشاعر الخمر. قال البعض انه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد انشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك .

المعري : أبو العلاء المعري 363)هـ 449 - هـ1057- 973) (م (هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمانفي الشمال السوري وإليها يُ نسب . لُقب برهين المحبسين أي محبس العمى ومحبس البيت وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

المنارة للاستشارات

(14) أدونيس، الشعرية العربية، ص (61).
(15) المرجع نفسه، ص (66) .
(16) المرجع نفسه، ص (68).
(17) المرجع نفسه، ص (70) .
(18) ينظر: جمال الدين بن الشيخ،الشعرية العربية،تر:مبارك حنون وآخرون،دار توبقال،المغرب،1996 ط1،ص45
(19) أدونيس، الشعرية العربية، (76) .
(20) المرجع نفسه، ص (77).
(21) المرجع نفسه، ص 81.
(22) تزفيطان تودوروف، الشعرية،ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة،دار توبقال للنشر،ط2، 1990، ص 23.
(23) أدونيس، الشعرية العربية، ص 84
(24) المرجع السابق، ص 86
(25) ينظر: جمال الدين بن الشيخ،الشعرية العربية،تر:مبارك حنون وآخرون،دار توبقال،المغرب،1996 ط1،ص89.
(26) أدونيس، الشعرية العربية، ص107.
(27) المرجع السابق، ص 108.
(28) عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط 2، ص 64.

المصادر والمراجع :

1. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.
2. أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، الطبعة الثانية 1989 م
3. تزفيطان تودوروف، الشعرية،ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة،دار توبقال للنشر،ط2، 1990.
4. جمال الدين بن الشيخ،الشعرية العربية،تر:مبارك حنون وآخرون،دار توبقال،المغرب،1996 ط1.
5. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م.
6. عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط 2
7. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،تصحيح محمد رشيد رضا، مكتبة محمد علي صبيح، الطبعة 06 سنة 1959م

المنارة للاستشارات